

المحاضرة 04: الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري

أولاً: مفهوم الأسطورة:

1- الدلالة اللغوية: تعود مفردة "الأسطورة" إلى الكلمة اليونانية "ميثوس" «Muthos»، وفي اللغة الفرنسية «Mythe» وهي في اللغة العربية حسب معجم "لسان العرب" لـ "ابن منظور" تعود إلى الفعل الثلاثي "سطر" معناه الصفُّ من الشجر أو النخل، كما تعني أيضاً الخط والكتابة، وهي بصيغة الجمع هي "أساطير" والتي تعني "أحاديث" و"أقاويل". وهو حديثٌ كما نبه إلى ذلك "جميل صليبا" في معجمه الفلسفي: "لا أصل له".

أما مصطلح "ميثولوجيا" «Mythologie» وتنقسم إلى مفردتين: "Myth" الحديث أو القول أو الأسطورة و"logie" علم، وبالتالي هي علم الأساطير الذي يختص بدراسة الأساطير من حيث سياقاتها التاريخية والثقافية والدينية، أسباب وجودها، دلالاتها ووظائفها. وقد ظهر هذا العلم في العصر الحديث بعد أن ازداد الفضول والعناية بمعرفة أفكار الإنسان القديم.

2- الدلالة الاصطلاحية: يوجد العديد من التعاريف للأسطورة، تكاد تتفق جميعاً على إرجاع الأسطورة إلى قصة خيالية أو صورة شعرية وروائية أو حكاية خرافية تلعب فيها القوى الخفية (الآلهة وأنصافها) أدوارها الرئيسية. ولها دلالاتها الرمزية والوجودية من خلالها تعبر عن هواجس الإنسان وتأملاته في الحياة والوجود.

ثانياً: خصائص الأسطورة:

تمتاز الأسطورة بالعديد من الخصائص والمميزات شكلاً ومضموناً نذكر منها التالي:

- **الشخصيات:** تنقسم إلى شخصيات رئيسية تمثلها الآلهة وأنصافها (الملك) وأخرى ثانوية يمثلها الإنسان، علماً أن ظهور الإنسان على مسرح الأحداث يتخذ دوراً ثانوياً من أجل استكمال حدث ما.

- **الحبكة:** مجموعة الأحداث التي تدور حولها الأسطورة.

- **العقدة:** وفيها تصل الأحداث إلى حالة من التآزم والتعقد والتشابك

- **الزمان والمكان:** السياق الزماني والمكاني التي تُجرى فيه أحداث الأسطورة.

- **النهاية:** الوصول إلى حل للمشكلة وهي ما تسمى بمرحلة الانفراج والحل.

- أما من حيث المضمون: عادة ما تتناول الأسطورة من حيث موضوعاتها أسئلة الإنسان وهواجسه حول أصل الوجود وطبيعته والحياة والموت والعالم الآخر... الخ. وهي جملة الموضوعات التي أصبحت مادةً للاشتغال الفلسفي في بداياته الأولى.

ثالثاً: من الأسطورة إلى الفلسفة

يعود الانتقال من التفكير الأسطوري إلى التفكير الفلسفي المنظم إلى منعطفين أساسيين:

1- الفكر الوضعي لتفسير أصل الأشياء: والذي ظهرت ملامحه الرئيسية في القرن السادس قبل الميلاد مع فلاسفة المدرسة الطبيعية وعلى رأسهم "طاليس". فإذا كانت الظواهر الطبيعية تخضع إلى قوى خفية (الآلهة وأنصافها) حسب التفسير الذي يقدمه النموذج الأسطوري فإنه مع هؤلاء تم تقديم تفسير جديدٍ مُتحررٍ من ثوب الأسطورة. وتم تعويض هذه القوى الخفية بعناصر أولية طبيعية هي إما الماء أو الهواء أو اللامحدود أو النار.

2- الدخول في تنظيم اجتماعي وسياسي جديد: فبعد أن تم تحقيق الفصل بين المنظومة الملكية والظواهر الطبيعية، رافقه أيضاً الفصل بين الظواهر الطبيعية والتجارب الاجتماعية الإنسانية، فإذا كانت في النموذج الأسطوري يخضعان للتفسير ذاته من خلال ارجاع ما يحدث فيهما إلى قوى طبيعية، أصبح الآن ما يجري في "المدينة" polis يخضع إلى النقاش العقلاني والحوار والجدال العمومي.